الاختيار والاصطفاء بين التَّوراة والقرآن الكريم

Choosing and selection between the Torah and the Noble Qur'an

نهى كمال سليم *

المجلس الأعلى للشئون الإسلاميّة، مصر nohakselim2020@gmail.com

تاريخ الارسال : 2022/10/21	تاريخ القبول : 2022/11/17	تاريخ النشر : 2022/12/20

ملخص:

يدور البحث حول مفهوم الاختيار في كلا الديانتين اليهودية والإسلامية وترجع أهمية البحث إلى أن فكرة الاختيار الإلهي لأشخاص بعينهم لأداء الرسالات للبشر واختياره لأمم بعينها عبر التاريخ البشري لأداء مهمة الاستخلاف على الأرض ترتبط ارتباطًا وثيقًا بدور الإنسان وفاعليته في الكون، ويحاول البحث إلقاء الضوء حول نقاط الاتفاق والاختلاف بين الاختيار التوراتي ومفهوم الاصطفاء في القرآن الكريم .

الكلمات المفتاحية: التوراة، القرآن الكريم، اليهودية، الإسلام، الاختيار، العنصرية اليهودية.

Abstract:

The research revolves around the concept of choice in both the Jewish and Islamic religions. The importance of the research is due to the fact that the idea of divine choice for specific people to perform messages for humans and the selection of certain nations throughout human history to perform the task of succession on earth is closely related to the role of man and his effectiveness in the universe, and the research attempts to shed light on points of agreement and difference. Between the biblical choice and the concept of selection in the Holy Qur’an.

Keywords: **Torah**, **Holy Quran**, **Judaism**, **Islam**, **Choice**, **Racism in Judaism**.

* المؤلف المرسل

مقدمة:

يُعد مفهوم الاختيار من أهم المفاهيم العقدية في الأديان عامةً، والأديان السماوية خاصةً، وهو أحد المفاهيم السُننية الرئيسية في القرآن الكريم، حيث أشار القرآن الكريم إلى اختيار الأنبياء والرسل من كافة البشر ليكونوا مبلغين للرسالة الإلهية عبر الزمن، كما أشار إلى اختيار أمة دون الأمم لتكون محل الاصطفاء الإلهي طالما التزمت بمعايير هذا الاختيار وأدت مهامها المنوطة بها كأمة مختارة، قال تعالى :﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ (فاطر: 32) .

والحقيقة أنَّ مفهوم الهيمنة القرآنيَّة الَّذي تكرَّس عبر الآية القرآنية ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾. (المائدة: 48)

يتضمن معاني التَّصديق والرِّقابة والشهادة والحفظ والائتمان، وغيرها من المعاني الإيجابية؛ والَّتي تدور معظمها حول قبول ما ورد في الكتب السابقة موافقاً للقرآن ورفض ما خالف القرآن[1].

يقول الطَّبري: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ أي أنزلناه لتصديق ما قبله من كتب الله الَّتي أنزلها إلى أنبيائه، وشهيدًا عليها أنها حق من عند الله تعالى وأصل الهيمنة الحفظ والارتقاب؛ ويقول في موضع آخر نقلاً عن ابن جريج:" القرآن أمين على الكتب فيما أخبرنا أهل الكتاب في كتبهم بأمر إن كان في القرآن فصدقوا وإلا فكذبوا، والقرآن أمين على كل كتاب قبله"[2].

فقد أشار القرآن– بشكل واضح– إلى حدوث التحريف اللفظي والمعنوي في التوراة وأنه تحريف قام به عن قصد كتبة التَّوراة والكهنة: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 75)، وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾. (البقرة: 79)

وقد أشار بعض أنبياء بني إسرائيل إلى هذا التَّحريف المتعمد؛ فنجد إرميا يقول: "كيف تقولون نحن حكماء وشريعة الرَّبِّ معنا، حقًّا إنَّه إلى الكذب حولها قلم الكتبة الكاذب" (إرميا 8:8). ويقول في موضع لاحق: "إذ قد حرفتم كلام الإله الحي رب الجنود إلهنا " (إرميا 23:36). فهو يشير– بوضوح– إلى التَّعديلات الَّتي أدخلها الكتبة في نصِّ التَّوراة وأبعدوها عن مسارها الصَّحيح.[3]

فمن المعروف أنَّ العمل في التَّوراة – بالتَّعديل والتَّبديل– لم يتوقف على مر أجيال كثيرة من الكتبة والمترجمين– والَّذين استمر عملهم منذ عصر عزرا الكاتب (حوالي القرن الخامس ق.م) وحتَّى 500م، ونتج عن هذا العمل المتواصل عدد كبير من الأخطاء الكتابيَّة، والَّتي نتجت عن تناقل النَّصِّ أثناء القراءة أو السَّمع، أو النَّقل، أو الكتابة، والَّتي تمثِّل أخطاءً غير متعمدة، بالإضافة إلى التَّعديلات المتعمدة بالحذف أو بالإضافة أو التَّبديل؛[4] ولذا فإنَّ مهمَّة القرآن الكريم تجاه الكتب السَّابقة؛ هي تصحيح ما تمَّ تحريفه من مفاهيم عقديَّة ودينيَّة وتقدّم لأصحابها صورة واضحة عن حقيقتها، صحيحها، وفاسدها، ثمَّ تتركهم لعقولهم

يختارون بين الصَّحيح والخاطئ، وبين الكامل والنَّاقص دون قهر أو تعسّف.[5]

ويأتي مفهوم الاختيار كواحد من أهمِّ المفاهيم العقدية في التَّوراة والَّتي تعرضت للتحريف مثلها مثل عدد كبير من المفاهيم الدِّينيَّة، وجاء مفهوم الاصطفاء القرآني ليصحح هذا الالتباس ويجلي حقيقة مفهوم الاختيار الإلهي.

وقد قسمتُ البحث إلى فصلين، كلُّ فصل يحتوي على ثلاثة مباحث على النَّحو التَّالي:

- الفصل الأوَّل بعنوان: مفهوم الاختيار في التَّوراة، وينقسم إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأوَّل: مصطلح الاختيار في التَّوراة.

المبحث الثَّاني: خصائص مفهوم الاختيار في التَّوراة.

المبحث الثَّالث: نقد مفهوم الاختيار في التَّوراة.

- أمَّا الفصل الثَّاني فقد جاء بعنوان الاختيار والاصطفاء في القرآن الكريم، وينقسم إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأوَّل: الاختيار والاصطفاء لغةً.

المبحث الثَّاني: أنواع الاصطفاء في القرآن الكريم.

المبحث الثَّالث: خصائص الاصطفاء في القرآن الكريم.

- **الفصل الأوَّل: مفهوم الاختيار في التَّوراة**

يعدُّ مفهوم الاختيار أحد الأفكار المركزيَّة في تاريخ الفكر اليهودي، وهو متجذر في التصورات التَّوراتية ، وتطوّر مع التُّلمود، ومع الفلسفة اليهوديَّة، والتَّصوف اليهودي، واليهوديَّة المعاصرة.[6]

ولا يعني هذا أنَّ فكرة خصوصية شعب في علاقته مع الإله حكر على الفكر الإسرائيلي. حيث يشير سميث إلى أنَّ عدد كبير من الباحثين في الديانات المقارنة قد أضحى مقتنعًا بأن فكرة الشَّعب المختار كانت فكرة منتشرة بين الأمم والشُّعوب الأخرى فقد كان لملوك بابل وآشور علاقة خاصة مع آلهتهم؛ فنجد سارجون الأوَّل يشير إلى عناية عشتار به فيقول :"عشتار اعتنت بي بحب .. طوال أيَّام حكمي"، ونجد حمورابي يقول "إنَّه الملك الَّذي أسعدت أفعاله مردوخ، إنَّني مختار شاماش ومحبوب مردوخ".

وقد انسحب اختيار وتفضيل الملوك على الأرض أيضًا، فأصبحت أرض آشور يطلق عليها أرض مردوخ، على غرار أرض يهوا، كما أصبحت الحروب الَّتي يخوضها هؤلاء هي حروب مردوخ ، وحروب يهوا.

ويستنتج سميث أنَّه ليس ثمَّة فرق جوهري بين التَّصور الآشوري والبابلي للاختيار الإلهي والتَّصور العبري.[7]

وبوجه عام تتكوّن هذه الفكرة من عنصرين رئيسيين:

1- نزعة تعال وتفاخر بالأمّة والجنس.

2– إيمان شديد بيهوا وبأنَّ إسرائيل هو ممثّل يهوا بين أمم وشعوب الأرض. (8)

المبحث الأوَّل: مصطلح الاختيار في التَّوراة

يعود مصطلح الاختيار إلى الجذر العبري (בחר) (**bḥr**) معبرا عن أنَّ إسرائيل هم شعب الرَّبِّ وقد استخدم في التعبير عن اختيار الله لأفراد ليقوموا بدور بعينه أو لمكان يحمل قداسة معينة كما جاء في التَّوراة، مثل:

1 –الكهانة للاويين مثلاً (تثنية 18: 5)؛ لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكَ قَدِ اخْتَارَهُ مِنْ جَمِيعِ أَسْبَاطِكَ لِكَيْ يَقِفَ وَيَخْدِمَ بِاسْمِ الرَّبِّ، هُوَ وَبَنُوهُ كُلَّ الأَيَّامِ.

2– أو الملك مثل اختيار الرب لداوود . ملوك أول 8 : 16 :" 16مُنْذُ يَوْمَ أَخْرَجْتُ شَعْبِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ لَمْ أَخْتَرْ مَدِينَةً مِنْ جَمِيعِ أَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ لِبِنَاءِ بَيْتٍ لِيَكُونَ اسْمِي هُنَاكَ، بَلْ إِنَّمَا اخْتَرْتُ دَاوُدَ لِيَكُونَ عَلَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ."

3– أو لاختيار مكان معين ليكون مقدساً تثنية 12 : 5 "5بَلِ الْمَكَانُ الَّذِي يَخْتَارُهُ الرَّبُّ إِلهُكُمْ مِنْ جَمِيعِ أَسْبَاطِكُمْ لِيَضَعَ اسْمَهُ فِيهِ، سُكْنَاهُ تَطْلُبُونَ وَإِلَى هُنَاكَ تَأْتُونَ ".

وحمل مصطلح الاختيار معان لاهوتية أخرى مع كتابات سفر التثنية تتعلّق بخصوصية بني إسرائيل (تثنية 7 : 6) "لأَنَّكَ أَنْتَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. إِيَّاكَ قَدِ اخْتَارَ الرَّبُّ إِلهُكَ لِتَكُونَ لَهُ شَعْبًا أَخَصَّ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ" وقارن 14 : 2 "2لأَنَّكَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ، وَقَدِ اخْتَارَكَ الرَّبُّ لِكَيْ تَكُونَ لَهُ شَعْبًا خَاصًّا فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ". (9)

ومصطلح الاختيار في التَّوراة تمركزت معانيه حول فكرة أنَّ الله قد اختار هذا الشَّعب كشعبه الخاص ليعبدوه وحده، وشاعت فكرة الاختيار بعد أن قدَّم المعنى الأيديولجي لها مؤلّف سفر التَّثنية حيث ارتبطت بفكرة العهد الَّتي تميّز علاقة الرَّبِّ باسرائيل والَّتي تشكّلت عبر العهد القديم. (10)

وتنطوي التَّوراة على روايتين مختلفتين عن الموعد التَّاريخي الَّذي اختار فيه الرب شعبه المختار، فبعض الفقرات تشير إلى أنَّ الاختيار قد تمَّ في عصر إبراهيم والآباء مثل فقرات (سفر التَّكوين 17 : 1 – 8): "وَلَمَّا كَانَ أَبْرَامُ ابْنَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً ظَهَرَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ وَقَالَ لَهُ: «أَنَا اللهُ الْقَدِيرُ. سِرْ أَمَامِي وَكُنْ كَامِلاً، 2فَأَجْعَلَ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَأُكَثِّرَكَ كَثِيرًا جِدًّا ..وَتَكُونُ أَبًا لِجُمْهُورٍ مِنَ الأُمَمِ، فَلاَ يُدْعَى اسْمُكَ بَعْدُ أَبْرَامَ بَلْ يَكُونُ اسْمُكَ إِبْرَاهِيمَ، لأَنِّي أَجْعَلُكَ أَبًا لِجُمْهُورٍ مِنَ الأُمَمِ. 6وَأُثْمِرُكَ كَثِيرًا جِدًّا، وَأَجْعَلُكَ أُمَمًا، وَمُلُوكٌ مِنْكَ يَخْرُجُونَ. وَأُقِيمُ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ، عَهْدًا أَبَدِيًّا، لأَكُونَ إِلهًا لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ. وَأُعْطِي لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أَرْضَ غُرْبَتِكَ، كُلَّ أَرْضِ كَنْعَانَ مُلْكًا أَبَدِيًّا. وَأَكُونُ إِلهَهُمْ."

بينما تشير فقرات أخرى لاختيار الرَّبِّ لهم حينما خلصهم الرَّبِّ وأخرجهم من مصر مع موسى.

والتَّحليل النَّقدي للتوراة يشير إلى تطوّر كبير في هذا الاعتقاد في تاريخ إسرائيل القديم؛ فالفكرة الأولية القديمة تشير إلى أنَّ يهوا الإله قومي الأوحد لبني إسرائيل.

ولكن هذا التَّصوّر قد تطور فيما بعد على يد أنبياء القرن الثَّامن ق.م حيث اعتبر الله هو إله كلِّ العالم. وعبر القرون اندمجت هاتين الرؤيتين في تناغم، وبدأت مع النَّبي عاموس واكتملت مع فترة السبي البابلي حتَّى ظهرت فكرة الشَّعب المختار على نحو مكتمل في عبارات إشعيا الثَّاني. وقد أدَّت فترة السّبي إلى الاعتقاد بأنَّ غرض يهوا هو إعادة تأسيس إسرائيل كقوميَّة مستقلة وأنَّ سائر الأمم ستعاقب على معرفتها ليهوا كإله العالم؛ فإن البقية الَّتي تطهرت من خطاياها سوف تعود إلى موطنها وستبقى هناك كأعلى أمَّة فوق الأرض.

وقرب نهاية السّبي البابلي، وصلت الفكرة مع إشعيا الثَّاني إلى ذروتها فكلُّ شعوب الأرض سوف تعرف يهوا وأنَّه هو إلهاهم جميعًا، وأنَّ إسرائيل ستكون أداة الله لتنفيذ ذلك الوحي العظيم وستكون بمثابة رسول وشاهد على حقيقة وشريعة الله لكلِّ الأمم على الأرض، وستكون إسرائيل منقذة الإنسانية والتجسيد القومي للمخلص.(11)

وتعدُّ هذه الفكرة أحد الأفكار المركزية في تاريخ الفكر اليهودي، وهي متجذرة في التَّصورات التَّوراتية، وتطوّرت مع التَّلمود، ومع الفلسفة اليهوديَّة، والتَّصوف اليهودي، واليهوديَّة المعاصرة.

المبحث الثَّاني: خصائص مفهوم الاختيار في التَّوراة

مفهوم الاختيار في التَّوراة من أهمِّ المفاهيم العقدية في الفكر الدِّيني اليهودي، يقول الفيلسوف الألماني كوهلر: "إنَّ الفكرة المركزيَّة في اللَّاهوت اليهودي ومفتاح فهم طبيعة اليهودية أنَّ الله اختار إسرائيل كشعب له (خروج 19 : 4 – 5)"، وقد تكرَّرت فكرة اختيار الرَّبِّ لإسرائيل في سفر التَّثنية 7 : 6 -8 ، 10 : 15 ، 14 : 2).(12) وتشير الفقرات التَّوراتية في سفر التَّثنية 14 : 1– 2 إلى ذلك: "أَنْتُمْ أَوْلاَدٌ لِلرَّبِّ إِلهِكُمْ. لاَ تَخْمِشُوا أَجْسَامَكُمْ، وَلاَ تَجْعَلُوا قَرْعَةً بَيْنَ أَعْيُنِكُمْ لأَجْلِ مَيْتٍ. لأَنَّكَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ، وَقَدِ اخْتَارَكَ الرَّبُّ لِكَيْ تَكُونَ لَهُ شَعْبًا خَاصًّا فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ". وقد ارتبط اختيار جماعة إسرائيل بخروجهم من مصر، واعتبرت علاقة جماعة الرَّبِّ به مختلفة تمامًا عن أي علاقة بين الأمم وآلهتها، (هوشع 11 : 1)" «لَمَّا كَانَ إِسْرَائِيلُ غُلاَمًا أَحْبَبْتُهُ، وَمِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي."

ويمكننا القول أنَّ خصائص مفهوم الاختيار في التَّوراة تشمل الآتي:

1– نزعة الاصطفاء العرقي:

فإنَّ فكرة الاختيار التوراتية بوجه عام تؤكّد فكرة الانفصال والانعزال عن الآخرين فلم يختر الإله اليهود بوصفهم شعبًا وحسب، بل اختارهم كجماعة دينيَّة قوميَّة توحِّدها أفكارها وعقائدها، وقد حوَّلهم هذا الاختيار إلى مملكة من الكهنة والقديسين، وإلى أمَّة مقدَّسة تتداخل العناصر الدِّينية والقومية فيها. واختيار الإله لليهود هو جوهر العهد أو الميثاق المبرم بينه وبين إبراهيم، حيث يدلُّ الاختيار على تفوق اليهود عِرْقيًّا، فقد اختير إبراهيم لنقائه، واختير اليهود لأنَّهم من نسله.**(13)**

ويمكننا تتبع خط عزل سائر الأمم عن مجال الاختيار الإلهي وقصره على بني إسرائيل خلال قصص التَّوراة على النَّحو التَّالي:

تبدأ قصة الانتخاب الطبيعي للأمم بحادثة استئصال الأمم جميعها بعد أحداث الطوفان، وبقاء نوح ونسله فقط فوق البسيطة والَّذين تفرعت منهم سائر البشرية وهم حام وسام ويافث واستبعد كتاب التوراة حام أبو الجنس الَّذي انحدر إلى مصر وما يليها من الجنوب.[14]

وقد استخدم مؤلّفي التوراة أسلوب البركات واللّعنات كتعبير عن استبعاد الَّذين لم يقع عليهم الاختيار الإلهي وأولئك الَّذين وقع عليهم الإختيار، ويبدأ ذلك مع رواية أبناء نوح وانكشاف عورته فيلعن كنعان ويبارك سام (تكوين 9 : 25 - 26 "فَقَالَ: «مَلْعُونٌ كَنْعَانُ! عَبْدَ الْعَبِيدِ يَكُونُ لإِخْوَتِهِ». وَقَالَ: «مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلهُ سَامٍ. وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ).

"ثمَّ كان أبرز رجال الجنس السَّامي فيما ولى ذلك الزَّمن أبرام وابن أخيه لوط، فأمَّا لوط وذريته فقد تمَّ استبعادهم بقصة مشبوهة أخرى وهي زنا لوط بابنتيه (تكوين 19 : 36 – 38)"[15]؛ وعلى هذا اقتصر الاختيار على نسل إبراهيم ثمَّ استبعد إسماعيل وظل الاختيار محصوراً في إسحاق ثمَّ استبعدوا عيسو واقتصرت البركات على يعقوب بناء على روايات تحتفي بالخداع (تكوين 27 : 27 – 29) ثمَّ تأتي رواية وصية موت يعقوب لتجعل الاصطفاء مستمرًا مع يهودا (تكوين 49 : 8 – 12) "يَهُوذَا، إِيَّاكَ يَحْمَدُ إِخْوَتُكَ، يَدُكَ عَلَى قَفَا أَعْدَائِكَ، يَسْجُدُ لَكَ بَنُو أَبِيكَ. يَهُوذَا جَرْوُ أَسَدٍ، مِنْ فَرِيسَةٍ صَعِدْتَ يَا ابْنِي، جَثَا وَرَبَضَ كَأَسَدٍ وَكَلَبْوَةٍ. مَنْ يُنْهِضُهُ؟ لاَ يَزُولُ قَضِيبٌ مِنْ يَهُوذَا وَمُشْتَرِعٌ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَ شِيلُونُ وَلَهُ يَكُونُ خُضُوعُ شُعُوبٍ. رَابِطًا بِالْكَرْمَةِ جَحْشَهُ، وَبِالْجَفْنَةِ ابْنَ أَتَانِهِ، غَسَلَ بِالْخَمْرِ لِبَاسَهُ، وَبِدَمِ الْعِنَبِ ثَوْبَهُ. مُسْوَدُّ الْعَيْنَيْنِ مِنَ الْخَمْرِ، وَمُبْيَضُّ الأَسْنَانِ مِنَ اللَّبَنِ."[16]

ويشير الدّكتور/ حسن ظاظا إلى أنَّ "التوراة وأسفار الأنبياء يسيران في نسق تاريخي متَّصل، ويحكيان قصة حياة العبريين منذ البداية إلى عودتهم من السّبي البابلي في القرنين الخامس والرَّابع قبل الميلاد؛ لكي يتمَّ ظهور الشَّخصية الإسرائيليَّة خلال هذه الملحمة على مسرح الإنسانيَّة في دور البطولة الَّذي لا ينازعها فيه منازع، فإنَّها تبدأ بالكلام عن خلق العالم بحيث يتم خلال ذلك انتقاء شعب الله المختار من بين الأمم الأخرى لهذا الدّور الَّذي رشحته له السّماء".[17]

"وصفوة القول أنَّ كتاب التَّوراة لم يدوّنوا هذه القصص المتسلسلة اعتباطًا، بل إنَّهم ابتدعوها وسلسلوها ليصلوا بها إلى غاية لهم ما فتئوا يضعونها نصب أعينهم هي إثبات أنَّ الله إنَّما خلق هذا الكون من أجل الأرض وأنَّه إنَّما خلق الأرض من أجل آدم وبني آدم، ولقد خلق هؤلاء ليعيد يبيدهم ويقطع دابرهم، لا يبقى منهم غير نوح وبنيه، وخلق هؤلاء ليختار من بينهم سام، ثمَّ يختار من حفدته إسرائيل وبني إسرائيل (تثنية 7 : 6) (لأَنَّكَ أَنْتَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. إِيَّاكَ قَدِ اخْتَارَ الرَّبُّ إِلهُكَ لِتَكُونَ لَهُ شَعْبًا أَخَصَّ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ).[18]

2– الاختيار كتكليف ديني:

على الرَّغم من الارتباط الشَّرطي بين فكرة الاختيار والتَّكليف؛ حيث إنَّ الاختيار لا بدَّ أن يكون لمهمَّة أو قضية مهمَّة يتحملها الانسان مناط الاختيار إلا أنَّ فكرة ارتباط التَّكليف بالاختيار تظهر على استحياء في التَّوراة، فالاختيار غالبًا غير مشروط ومطلق بالنِّسبة لبني إسرائيل.

ويمكننا القول إنَّ هناك اتجاهين في التَّوراة لمفهوم الاختيار:

الاتجاه الأوَّل: يعتبر أنَّ الاختيار الإلهي لبني إسرائيل مشروط وملزم ويمكن نقضه ورفض إسرائيل إذا تجاوزت شروطه ومن ثمَّ يحلُّ عليها العقاب، فالشُّروط المفروضة على الشَّعب المختار تلزمه أو توجب عليه أن يسلك أو يقضى حياته وفقها أو أن يحلَّ عليه العقاب الشَّديد.

عاموس 9 : 7 – 10 "أَلَسْتُمْ لِي كَبَنِي الْكُوشِيِّينَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، يَقُولُ الرَّبُّ؟ أَلَمْ أُصْعِدْ إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، وَالْفِلِسْطِينِيِّينَ مِنْ كَفْتُورَ، وَالأَرَامِيِّينَ مِنْ قِيرٍ؟ هُوَذَا عَيْنَا السَّيِّدِ الرَّبِّ عَلَى الْمَمْلَكَةِ الْخَاطِئَةِ، وَأُبِيدُهَا عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ.. بِالسَّيْفِ يَمُوتُ كُلُّ خَاطِئِي شَعْبِي الْقَائِلِينَ: لاَ يَقْتَرِبُ الشَّرُّ، وَلاَ يَأْتِي بَيْنَنَا".

أمَّا الاتِّجاه الآخر: فيرى أنَّ هذا الاختيار أبدي ولا يمكن نقضه، بل وأنَّ الإله يتجاوز عن أخطاء إسرائيل– وإن عاقبها– لأنَّه لن ينقض عهده معها؛ فربُّ إسرائيل لن يخلف وعده أو ينقض عهده معها وربَّما يكون مفهوم العودة أو التَّوبة للإبقاء على استمرارية اختيار إسرائيل، فإذا كان فشل بني إسرائيل في الإخلاص للشريعة ، فإن طريق التخلص من هذه الخطايا هو التوبة أو النَّدم ومن ثمَّ يتجدَّد العهد برجوع بني إسرائيل إلى الرَّبِّ والحفاظ على شروط العهد بغض النَّظر عن نقضهم للعهد.[19]

ولعلَّ هذا ماتوضحه نظرية المصادر بشكل واضح؛ فالمؤرِّخ الإلوهيمي لا تجذب اهتمامه العناصر القومية؛ "فهو يركز على الاختيار الإلهي الدِّيني ولهدف واحد، هو عبادة الإله الواحد، وأصبح الاختيار والوعد الإلهي لبني إسرائيل مشروطًا بالتَّوحيد، وهو هدف ديني خالص لا تشوبه عناصر قومية عرقيَّة. ونجد في هذا المصدر تخفيفاً ملحوظاً للعنصرية المسيطرة على المصدر اليهوي والمصادر المتأثِّرة به، وعدم اهتمام واضح بفكرة أرض إسرائيل واعتبار حوريب في سيناء مسكناً للرب ، فهي مهبط الوحي وليست كنعان فلسطين". [20]

أمَّا المصدر اليهوي فقد فسّر وعود الرب مع الآباء تفسيرًا جديدًا يركّز على العنصر القومي، فالاختيار الإلهى والوعود الإلهيَّة أصبحت جميعًا تدور فى دائرة واحده تبدأ بالخروج من مصر وتكوين جماعة بنى إسرائيل فى سيناء، وتنتهى بالحصول على الاستقرار والأرض فى عصر داوود. ويصوّر المؤرّخ اليهوي الرَّبَّ يهوا في صحبة شعبه المختار ليمكنه من الاستقرار بكنعان الأرض الَّتي تفيض لبناً وعسلاً.[21]

ويعدُّ المصدر التَّثنوي من أهمِّ المصادر الَّتي اهتمت بفكرة الاختيار؛ حيث يشير جارودي إلى أنَّ سفر التَّثنية "تدور الفكرة الرئيسية فيه حول تسمية إسرائيل بشعب الله المختار المرتبط مع الله بالعهد. وهذا العهد يتصل على نحو وثيق بفكرة الوحي والالتزام بالشّريعة. وقد صار العهد مرادفًا للوصية: فألواح العهد قد حفرت عليها الوصايا العشر".[22]

فقد حمل مصطلح الاختيار معانٍ لاهوتيَّة مع كتابات سفر التثنية تتعلَّق بخصوصية بني إسرائيل (تثنية 7 : 6) "لأَنَّكَ أَنْتَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. إِيَّاكَ قَدِ اخْتَارَ الرَّبُّ إِلهُكَ لِتَكُونَ لَهُ شَعْبًا أَخَصَّ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ" وقارن تثنية 14 : 2 "لأَنَّكَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ، وَقَدِ اخْتَارَكَ الرَّبُّ لِكَيْ تَكُونَ لَهُ شَعْبًا خَاصًّا فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ.

ويشير سفر التّثنية مرارًا لمبرر ذلك الاختيار (تثنية 4 : 32 – 39) "فَاسْأَلْ عَنِ الأَيَّامِ الأُولَى الَّتِي كَانَتْ قَبْلَكَ، مِنَ الْيَوْمِ الَّذِي خَلَقَ اللهُ فِيهِ الإِنْسَانَ عَلَى الأَرْضِ، وَمِنْ أَقْصَاءِ السَّمَاءِ إِلَى أَقْصَائِهَا. هَلْ جَرَى مِثْلُ هذَا الأَمْرِ الْعَظِيمِ، أَوْ هَلْ سُمِعَ نَظِيرُهُ؟[33]هَلْ سَمِعَ شَعْبٌ صَوْتَ اللهِ يَتَكَلَّمُ مِنْ وَسَطِ النَّارِ كَمَا سَمِعْتَ أَنْتَ، وَعَاشَ؟ أَوْ هَلْ شَرَعَ اللهُ أَنْ يَأْتِيَ وَيَأْخُذَ لِنَفْسِهِ شَعْبًا مِنْ وَسَطِ شَعْبٍ، بِتَجَارِبَ وَآيَاتٍ وَعَجَائِبَ وَحَرْبٍ وَيَدٍ شَدِيدَةٍ وَذِرَاعٍ رَفِيعَةٍ وَمَخَاوِفَ عَظِيمَةٍ، مِثْلَ كُلِّ مَا فَعَلَ لَكُمُ الرَّبُّ إِلهُكُمْ فِي مِصْرَ أَمَامَ أَعْيُنِكُمْ؟ إِنَّكَ قَدْ أُرِيتَ لِتَعْلَمَ أَنَّ الرَّبَّ هُوَ الإِلهُ. لَيْسَ آخَرَ سِوَاهُ. مِنَ السَّمَاءِ أَسْمَعَكَ صَوْتَهُ لِيُنْذِرَكَ، وَعَلَى الأَرْضِ أَرَاكَ نَارَهُ الْعَظِيمَةَ، وَسَمِعْتَ كَلاَمَهُ مِنْ وَسَطِ النَّارِ. وَلأَجْلِ أَنَّهُ أَحَبَّ آبَاءَكَ وَاخْتَارَ نَسْلَهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ، أَخْرَجَكَ بِحَضْرَتِهِ بِقُوَّتِهِ الْعَظِيمَةِ مِنْ مِصْرَ، لِكَيْ يَطْرُدَ مِنْ أَمَامِكَ شُعُوبًا أَكْبَرَ وَأَعْظَمَ مِنْكَ، وَيَأْتِيَ بِكَ وَيُعْطِيَكَ أَرْضَهُمْ نَصِيبًا كَمَا فِي هذَا الْيَوْمِ. فَاعْلَمِ الْيَوْمَ وَرَدِّدْ فِي قَلْبِكَ أَنَّ الرَّبَّ هُوَ الإِلهُ فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَعَلَى الأَرْضِ مِنْ أَسْفَلُ. لَيْسَ سِوَاهُ.

وشاعت فكرة الاختيار بعد أن قدَّم المعنى الأيديولجي لها مؤلف المصدر التّثنوي، حيث ارتبطت بفكرة العهد الّتي تميّز علاقة الرب باسرائيل والّتي تشكلت عبر العهد القديم".[23]

وقد كان للرؤية اللّاهوتية لسفر التّثنية أثر كبير على الأسفار التّالية يشوع والقضاة وصموئيل والملوك، هذه الأسفار الّتي يمكن وصفها بأنها (تثنوية) بالمقام الأوّل.[24]

ومن جهة اخرى فإنَّ المصدر التّثنوي تأثر بشكل واضح بالمصدر الإلوهيمي، يقول الدُّكتور/ خليفة: "تأثر المصدر التثنوي في رؤيته للاختيار بالمصدرالإلوهيمي، فظهر الرّبط بين الإله والشّعب، واعتبار بني إسرائيل (شعب الله)، والتّأكيد على أخوة بني إسرائيل، وحب الإله الغيور لهم، ويؤكّد على امتلاكهم للأرض بحفظهم لوصايا الرّبّ. وقد ترك المصدر التّثنوي أثرًا كبيرًا على أسفار العهد القديم الّتي تلته من يشوع وحتّى القضاة بل وأيضًا أسفار عزرا ونحميا وأخبار الأيّام".[25]

والاختيار لدى المؤلّف التّثنوي الّذي ارتبط تماماً بفكرة العهد الّذي يشمل معاني التكليف والمسؤولية؛ فأصبح الاختيار اختياراً مشروطًا؛ "فالرَّبُّ الّذي اختار إسرائيل من الممكن أن يختار أي شعب آخر لأنَّ الأرض كلّها ملك للربّ"[26]، حيث يشير سفر التّثنية إلى أنَّ العقاب على عدم إلتزام الشَّريعة وعبادة الله وحده سيكون الشّتات (تثنية 4 : 25 – 26)، "إِذَا وَلَدْتُمْ أَوْلاَدًا وَأَوْلاَدَ أَوْلاَدٍ، وَأَطَلْتُمُ الزَّمَانَ فِي الأَرْضِ، وَفَسَدْتُمْ وَصَنَعْتُمْ تِمْثَالاً مَنْحُوتًا صُورَةَ شَيْءٍ مَّا، وَفَعَلْتُمُ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ إِلهِكُمْ لإِغَاظَتِهِ، أُشْهِدُ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ أَنَّكُمْ تَبِيدُونَ سَرِيعًا عَنِ الأَرْضِ الَّتِي أَنْتُمْ عَابِرُونَ الأُرْدُنَّ إِلَيْهَا لِتَمْتَلِكُوهَا. لاَ تُطِيلُونَ الأَيَّامَ عَلَيْهَا، بَلْ تَهْلِكُونَ لاَ مَحَالَةَ".

وقد اتّفق إشعيا الثاني مع مؤلف سفر التّثنية على "الدّور العالمي لإله إسرائيل وفي نفس الوقت تأكيد اختيار إسرائيل. والعهد مع إسرائيل على هذا النّحو يتعلق بمسؤولياتها، وعلى نفس هذا النحو فإن الأفراد المختارين مسؤولين عن مهام معينة ومنوط بهم القيام بأدوار بعينها".[27]

ومع الحركة النَّبوية في مرحلة السّبي والعودة "سيأتي دور إسرائيل كوسيط يأخذ الشُّعوب للربِّ"(28) (اشعيا 42 : 3 أ –4) "هُوَذَا عَبْدِي الَّذي أَعْضُدُهُ، مُخْتَارِي الَّذي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي. وَضَعْتُ رُوحِي عَلَيْهِ فَيُخْرِجُ الْحَقَّ لِلأُمَمِ. 2لاَ يَصِيحُ وَلاَ يَرْفَعُ وَلاَ يُسْمِعُ فِي الشَّارِعِ صَوْتَهُ. 3قَصَبَةً مَرْضُوضَةً لاَ يَقْصِفُ، وَفَتِيلَةً خَامِدَةً لاَ يُطْفِئُ. إِلَى الأَمَانِ يُخْرِجُ الْحَقَّ. 4لاَ يَكِلُّ وَلاَ يَنْكَسِرُ حتَّى يَضَعَ الْحَقَّ فِي الأَرْضِ، وَتَنْتَظِرُ الْجَزَائِرُ شَرِيعَتَهُ".

ويتمحور الإصحاح 49 من سفر إشعيا حول المهمّة الَّتي وكّل بها الرَّبّ لإسرائيل (إشعيا 49 : 6) "فَقَالَ: «قَلِيلٌ أَنْ تَكُونَ لِي عَبْدًا لإِقَامَةِ أَسْبَاطِ يَعْقُوبَ، وَرَدِّ مَحْفُوظِي إِسْرَائِيلَ. فَقَدْ جَعَلْتُكَ نُورًا لِلأُمَمِ لِتَكُونَ خَلاَصِي إِلَى أَقْصَى الأَرْضِ".

ورغم معاصي بني إسرائيل وعدم إلتزامهم بوصايا الرَّبِّ إلى أنَّ رفض الرب لهم كاملاً أمر غير وارد ولا يمكن تصوره (هوشع 1 : 9 – 10) "فَقَالَ: «ادْعُ اسْمَهُ لُوعَمِّي، لأَنَّكُمْ لَسْتُمْ شَعْبِي وَأَنَا لاَ أَكُونُ لَكُمْ. لكِنْ يَكُونُ عَدَدُ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَرَمْلِ الْبَحْرِ الَّذي لاَ يُكَالُ وَلاَ يُعَدُّ، وَيَكُونُ عِوَضًا عَنْ أَنْ يُقَالَ لَهُمْ: لَسْتُمْ شَعْبِي، يُقَالُ لَهُمْ: أَبْنَاءُ اللهِ الْحَيِّ. وَيُجْمَعُ بَنُو يَهُوذَا وَبَنُو إِسْرَائِيلَ مَعًا وَيَجْعَلُونَ لأَنْفُسِهِمْ رَأْسًا وَاحِدًا، وَيَصْعَدُونَ مِنَ الأَرْضِ، لأَنَّ يَوْمَ يَزْرَعِيلَ عَظِيمٌ".

وعلى هذا يمكننا القول اذن إنّ الاختيار الإلهي لبني إسرائيل في التّوراة قد تأرجح بين رؤيتين إحداهما ترى أنَّ الاختيار تكليف بمهام العبادة والإستقامة، وأنَّه اختيار مشروط وليس أبديًا، وبين رؤية أخرى ترى أنَّه اختيار أبدي مهما بلغت آثام بني إسرائيل وموباقاتهم.

المبحث الثَّالث: نقد مفهوم الاختيار في التَّوراة

تعرَّض مفهوم الاختيار في التَّوراة للانتقاد من مفكّري اليهود أنفسهم وعلى رأسهم اسبينوزا الَّذي اعتبر أنَّ مفهوم الاختيار التوراتي هو مفهوم مادي دنيوي بحت ويبتعد تمامًا عن الأبعاد الروحية والأخلاقية الَّتي هي سمة أساسية لأي رسالة موحى بها من الله ، فاسبينوزا كان يرى أنَّ مفهوم قداسة النص باعتباره موحى به يرتبط بالبعد الأخلاقي ولذا فهو يقول: "لا يكون الكتاب مقدّسا، ولا تكون نصوصه إلهية، إلا بقدر ما يحثُّ النَّاس على تقوى الله. فإن تخلوا كليةً عن هذه التَّقوى، كما تخلّى عنها اليهود من قبل، أصبح حبراً على ورق، وضاعت قدسيته كليةً، وأصبح معرضا للتحريف، فليس هناك ما يدعو للدهشة إذا كانت مخطوطات موسى الأصلية قد ضاعت بعد أن ضاع تمامًا الأثر الأصلي بحقِّ الميثاق الإلهي، وهو أقدس الآثار جميعًا". (29)

ويشير اسبينوزا إلى أنَّ ما نفهمه عن مفهوم اختيار الإله لبني إسرائيل في التَّوراة هو الإطار الدُّنيوي المادي"، فقد تم اختيارهم وأعطوا رسالة من أجل الازدهار الدنيوي لدولتهم ومن أجل مزاياهم المادية. كذلك فإنَّنا نعتقد أنَّ الله لم يعد البطارقة أو نسلهم بأي شيء ما عدا ذلك، بل إنَّ الشَّريعة لم تعد العبرانيين بشيء مقابل طاعتهم إلا باستمرار دولتهم الَّذي يسعدون بها وبنعم الدُّنيا، وفي مقابل ذلك فإنَّها أنذرتهم بسقوط الدَّولة وبأفدح المصائب لو أنَّهم عصوا الميثاق ونقضوه".(30)

ويستشهد اسبينوزا بشواهد عديدة من داخل التَّوراة نفسها تؤكد على أنَّ الله أختار شعوب أخرى كثيرة غير بني إسرائيل لعبادته واختصها أيضًا بنمو دولتها

وإزدهارها وهو الأمر الَّذي تنتفي معه نزعة الخصوصية الَّتي حرف بها كتاب التوراة مفهوم الاختيار فإن الله يرعى الجميع بقدر متساو، وهذا ما يؤكده الكتاب ذاته فنجد في سفر المزامير؛ (مزمور 33 :14 - 15): "مِنْ مَكَانِ سُكْنَاهُ تَطَلَّعَ إِلَى جَمِيعِ سُكَّانِ الأَرْضِ. الْمُصَوِّرُ قُلُوبَهُمْ جَمِيعًا، الْمُنْتَبِهُ إِلَى كُلِّ أَعْمَالِهِمْ".

يقول اسبينوزا: "إنَّ الله قد فرض للجميع هذا القانون الَّذي يقضي بتعظيم الله، وبالكفِّ عن الأفعال القبيحة؛ أي يقضي بالتّوجه له بالفعل الصالح، ومن هنا أصبح أيوب وهو غير اليهودي، أحبّ الجميع إلى الله لأنَّه فاقهم جميعًا في الورع والتَّدين".

ويتبين أخيرًا من سفر يونس (يونس 4 :2) "أنَّ الله يرعى الجميع ويرحمهم ويسامحهم، وأنَّ رحمته تسعهم جميعًا، وأنَّه يغفر الخطايا للجميع، دون أنْ يقصر ذلك على اليهود وحدهم؛ ""فالأنبياء لجميع البشر وليس لليهود وحدهم،ولما كان الله لطيفًا رحيمًا حقًّا بالجميع ، وكانت مهمة النَّبي أقرب إلى تعليم الفضيلة الحقّة وتهذيب البشر منها إلى تعليم القوانين الخاصة بالوطن، فلا شكٍّ أنَّ جميع الأمم كانت لها أنبياء، وأنَّ هبة النّبوة لم تكن قاصرة على العبرانيين".[31] وهذا ما يشهد به التَّاريخ الدِّيني والتَّاريخ الدُّنيوي على السَّواء. وإذا لم تكن الرِّوايات المقدّسة في التّوراة تدلُّ على إرسال الأنبياء إلى سائر الأمم كما أرسلوا إلى العبرانيين، أو على أنَّ الله لم يرسل إليها صراحة أي نبي غير يهودي، فهذا لا يهمُّ في شيء؛ لأنَّ بني إسرائيل لم يهتمّوا إلا برواية شئونهم الخاصَّة، لا برواية شئون غيرهم من الأمم.

- **الفصل الثَّاني: الاختيار والاصطفاء في القرآن الكريم**

ورد مفهوم الاختيار في القرآن الكريم والَّذي يحمل معنى التَّفضيل وقصديَّة الانتخاب بأكثر من لفظة مثل الاصطفاء والاجتباء، وكانت لفظة الاصطفاء بصيغها المختلفة هي الأكثرها ورودًا ممَّا يدلُّ على أهميتها وانفرادها حيث وردت حوالي 17 مرَّة في المواضع التَّالية:

1) ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ﴾. (البقرة: 132)

2) ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾. (آل عمران: 33)

3) ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾. (النَّمل: ٥٩)

4) ﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا﴾. (البقرة: 130)

5) ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾. (البقرة: 247)

6) ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾. (البقرة: 264)

7) ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ﴾. (آل عمران: 42)

8) ﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾. (آل عمران: 42)

9) ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾. (الأعراف: 144)

10) ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا﴾. (الإسراء: 40)

11) ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾. (الحجّ: 75)

12) ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾. (فاطر: 32)

13) ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾. (الصَّافات: 153)

14) ﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ ﴿ص ٤٧﴾

15) ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾. (الزُّمر: 4)

16) ﴿أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ﴾. (الزُّخرف: 16)

17) ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾. (محمَّد: 15)

* أمَّا لفظة الاختيار بصيغها المختلفة فقد وردت 3 مرَّات؛ في المواضع التَّالية:

1) ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا﴾. (الأعراف: 155)

2) ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾. (طه: 13)

3) ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾. (الدُّخان: 32)

ولفظة الاجتباء بصيغها وردت 7 مرَّات؛ في المواضع التَّالية:

1) ﴿وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾. (الأنعام: 87)

2) ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾. (الأعراف: 203)

3) ﴿شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾. (النَّحل: 121)

4) ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا﴾. (مريم: 58)

5) ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾. (طه: 122)

6) هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾. (الحجّ: 78)

7) ﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾. (القلم: 50)

وخلال هذا الفصل سنحاول الاقتراب من أبعاد مصطلحي الاختيار والاصطفاء في القرآن الكريم

والفروق الدقيقة بينهما، كما سنبين الأبعاد الدينية لهذه المفاهيم، والفرق بين التناول القرآني والتوراتي لهذه المعاني، وذلك من خلال المباحث التالية:

المبحث الأوَّل: الاختيار والاصطفاء لغةً

الاختيار لغَة مصدر من الفعل اختار وأصله خير يخير وهو طلب ما هو خير وفعله[32]، والخَيْرُ: ضِدُّ الشَّرِّ، وَجَمْعُهُ خُيور، تَقُولُ مِنْهُ: خِرْتَ يَا رَجُلُ، فأَنتَ خائِرٌ، وخارَ اللهُ لَكَ.[33]

والخِيارُ: خِلَافُ الْأَشْرَارِ والخِيارُ: الِاسْمُ مِنَ الاخْتِيارِ، وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشاءُ وَيَخْتارُ مَا كانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ؛ قَالَ الزَّجَّاجُ: الْمَعْنَى رَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَرَبُّكَ يَخْتَارُ وَلَيْسَ لَهُمُ الْخِيرَةُ وَمَا كَانَتْ لَهُمُ الْخِيرَةُ أَي لَيْسَ لَهُمْ أَن يَخْتَارُوا عَلَى اللَّهِ؛ قَالَ: وَيَجُوزُ أَن يَكُونَ مَا فِي مَعْنَى الَّذي فَيَكُونَ الْمَعْنَى وَيَخْتَارُ الَّذي كَانَ لَهُمْ فِيهِ الْخِيرَةُ، وَهُوَ مَا تَعَبَّدَهم بِهِ؛ أَي وَيَخْتَارُ فِيمَا يَدْعُوهُمْ إِليه مِنْ عِبَادَتِهِ مَا لَهُمْ فِيهِ الخِيَرَةُ.[34]

وتخيرت هذا الشَّيء: أخذت خياره وخيرته، يقول المصطفوي في كتابه التَّحقيق: "أنَّ الأصل الواحد في هذه المادة: هو انتخاب الشَّيء واصطفاؤه، وتفضيله على غيره، ففيه قيدان الانتخاب والاختيار، والتفضيل. وهذان القيدان ملحوظان في جميع صيغ اشتقاقها. فالخير هو مايقابل الشَّرّ: فالخير ما يُختار ويُنتخب من بين الأفراد، ويكون فاضلاً وراجحاً ﴿وأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ (سورة طه: 13)، ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (الدُّخان: 32)، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ (القصص: 68)، ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا﴾ (الأعراف: 155) يُراد الانتخاب مع توجه ورغبة وقصد وكون المنتخب ذا فضيلة، فتدل الهيئة على الرغبة".[35]

أمَّا الاصطفاء لغَة: من صفا يصفو اصطفاءً، والصَّفو: نقيض الكدر، وصفوة كلِّ شيء خالصه وخيره، والصفوة من كلِّ شيء خياره وخالصه وما صفا منه، والأنبياء المصطفون، والصّفوة هم المتّصفون بالصَّفاء عن كدر الغيرية، والعلاقة بين الصَّفاء والاصطفاء أنَّ من صفا وطهر وخلص لربِّه فقد تقبله واختاره واصطفاه، وأنَّ المؤمن متى بلغ ذروة الإيمان، اجتباه الله- عزَّ وجلَّ- واصطفاه وجذبه إليه .[36]

والاصطفاء؛ هو الرَّغبة إلى جعل شيء واختياره صافيًا، فإنَّ الافتعال يدلُّ على القصد والاختيار. وأصل الاصطفاء الصفو،" والصفو: أصل واحد يدل على خلوص من كلِّ شوب، من ذلك الصفاء وهو ضدُّ الكدر، يقال صفا يصفو إذا خلص، والأصل الواحد في هذه المادة: هو ما يقابل الكدورة، وما لا يكون كدراً".[37]

والاصفاء غير الإصطفاء: فإنَّ الإصفاء هو جعل الشّيء صافيًا بالتَّكوين والخلق، كما في قوله تعالى: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا﴾ (الإسراء: 40)؛ فإن تولّد البنين أمر تكويني خارج عن اختيار العبد وجريان عمله. وهذا بخلاف الاصطفاء، فإنَّه اختيار من الله تعالى أن يكون شيء أو شخص صافيًا، وذلك بالتَّوفيق والتَّأييد وتهيئة الوسائل والهداية، إذا كان المورد مستعدًّا وفي صراط الحقِّ.[38]

وأخيرًا يأتي مصطلح الاجتباء كأحد أهمّ المترادفات لمفهومي الاختيار والاصطفاء، والاجتباء لغَة من الفعل جبى "والجيم والباء وما بعده من المعتل أصل واحد يدلُّ

على جمع الشَّيء والتجمع. يقال جبيت المال أجبيه جباية، وجبيت الماء في الحوض". [39]

ومن مصاديقها: جبيت الخراج إذا حصلته وأخرجته من أموالهم، وجبيت المال إذا استخرجته وجمعته من الأموال. واجتباء الله العبد: تخصيصه إياه بفيض إلهيّ يتحصل له منه أنواع من النعم بلا سعي من العبد، وذلك للأنبياء وبعض من يقاربهم من الصّديقين والشُّهداء.

الفروق بين الاصطفاء والاختيار والاجتباء:

يمكننا القول بناءً على التَّحديدات اللُّغويَّة السَّابقة للمصطلحات الثَّلاثة أنَّ "الاصطفاء؛ تنَاول صفوة الشَّيْء، أمَّا الِاخْتِيَار فهو تنَاول خَيره، والاجتباء:تنَاول جابته أَي وَسطه، وَهُوَ الْمُخْتَار، واصطفاء الله لبعض عباده يكون بإيجاده تعالى إيَّاه صافيًا من الشّوب الموجود في غيره". [40]

وتشترك المصطلحات الثَّلاثة في صفة التفضيل والفضل هو الزّيادة والخير؛ أي الزِّيادة على ما هو لازم ومقرّر، لا مطلقًا. والفضل من الله تعالى: عبارة عن عطائه زائداً على ما هو اللَّازم المقرّر في مقام إيتاء الفضل على المستويين الُوحي والمادي. [41]

والفضل يحمل صفتين أساسيتين، ابتدائي تكوينًا في أصل الخلقة أو الجبلة، ثمَّ صفات مكتسبة بحسب مقتضى الحال، فقوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ (البقرة: 253)؛ "فهذه الفضيلة الخاصَّة للرسل إنَّما هي في قبال التكاليف والوظائف المخولة لهم وبمناسبتها، ومعلوم أنَّ تعلّق أي تكليف يتوقف على وجود الاستعداد والتهيؤ الذاتي في المتعلق به.فالرسالة من الله تعالى والخلافة منه لا يمكن تحملها إلا بعد تحقّق فضيلة ذاتية خاصّة واستعداد مخصوص روحي، وأمَّا الاستعداد في مقام الرِّسالة فهو مطلق في الجملة ومنبسط ومتَّسع، فإنَّ الرِّسالة خلافة من الله تعالى في أرضه، والرَّسول حجة الله على خلقه، فلا بدَّ أن يتَّصف بصفات الله الحميدة"[42]

ويمكننا أن نخلص إلى أن العلاقة بين المصطلحات الثلاث الاختيار والاجتباء والاصطفاء، كالآتي:

1 – إنَّ الاختيار هو الأعم والأشمل، لأنه الفعل المشترك بين المصطلحات الثَّلاث.

2 – أمَّا الاجتباء فهو الاختيار مع تكميل ما كان ناقصاً في محل الاجتباء .

3 – وأخيرًا الاصطفاء وهو الاختيار مع الاجتباء والتَّصفية من الكدر والشَّوائب ليصبح خالصًا مصفاً تمامًا.

المبحث الثَّاني: أنواع الاصطفاء في القرآن الكريم

اتضح لنا من التحليل اللغوي السابق لمترادفات مفهوم الاختيار وهي الاصطفاء والاجتباء هيمنة مصطلح الاصطفاء وخصوصيته في القرآن الكريم، خاصَّة مع اشتماله على معاني الاختيار والانتقاء والتَّصفية من الكدور والشوائب وإحلال الصفات الخيريَّة في الشَّخص أو الرِّسالة الدِّينية أو الأمّة محلّ الاصطفاء.

ويمكننا القول إنَّ الاصطفاء وفق ذلك هو "فعل إلهي حكيم ينصب على الوجود الإنساني، فردًا كان أو أمّة، فيؤهله لتلقي الخطاب الإلهي (الهدى) وتبليغه وتبيينه؛ أي أن الاصطفاء من حيث غايته تعبير عن

إرادة الله توجيه الوجود الإنساني ، والارتقاء به من مجرد وجود تاريخي مادي مصمت إلى وجود حضاري متكامل". (43)

وقبل أن نلج إلى خصائص مفهوم الاصطفاء في القرآن الكريم، لا بدَّ أن نلقي الضَّوء على مراتب الاصطفاء في القرآن الكريم :

1 – اصطفاء الدّين:

يشير القرآن الكريم إلى أن الإسلام هو الدّين الَّذي اصطفاه الله لخلقه، قال تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: 132)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (آل عمران: 19)، فهو دين الأنبياء جميعًا من لدن آدم- عليه السَّلام- أوّل الخليقة وحتَّى محمَّد- صلَّى الله عليه وسلَّم- خاتم الأنبياء، يقول الرَّازي أن المراد باصطفاء دين الإسلام "أنَّه تعالى استخلصه بأن أقام عليه الدَّلائل الظاهرة الجلية ودعاكم إليه ومنعكم عن غيره". (44)

"وقَدْ عَرَّفَ الْعُلَمَاءُ الدِّينَ الصَّحِيحَ بِأَنَّهُ وَضْعٌ إِلَهِيٌّ سَائِقٌ لِذَوِي الْعُقُولِ بِاخْتِيَارِهِمُ الْمَحْمُودِ إِلَى الْخَيْرِ بَاطِنًا وَظَاهِرًا"(45)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ﴾ (آل عمران: 19) صِيغَةُ حَصْرٍ، وَهِيَ تَقْتَضِي فِي اللِّسَانِ حَصْرَ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ، وَهُوَ الدِّينُ، فِي الْمُسْنَدِ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ، عَلَى قَاعِدَةِ الْحَصْر بتعريف جزئي الْجُمْلَةِ، أَيْ لَا دِينَ إِلَّا الْإِسْلَامُ، وَقَدْ أَكَّدَ هَذَا الِانْحِصَارَ بِحَرْفِ التَّوْكِيدِ.وَقَوْلُهُ: عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ وَصْفٌ لِلدِّينِ، وَالْعِنْدِيَّةُ عِنْدِيَّةُ الِاعْتِبَارِ وَالِاعْتِنَاءِ وَلَيْسَتْ عِنْدِيَّةَ عِلْمٍ: فَأَفَادَ، أَنَّ الدِّينَ الصَّحِيحَ هُوَ الْإِسْلَامُ، فَيَكُونُ قَصْرًا لِلْمُسْنَدِ، إِلَيْهِ بِاعْتِبَارِ قَيْدٍ فِيهِ". (46)

2– اصطفاء الأنبياء:

يُمكننا أن نلاحظ أنَّ استخدام القرآن الكريم للفظة الاصطفاء مع الأنبياء- عليهم السَّلام- جاء في شكلين لغويين؛ فتارةً يرد قاصرًا على مفعوله عريًا عن التعليق كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ (فاطر: 32)، وتارةً يرد بمفعوله معلقا بحرف الجرّ (على) ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: 33)، واستعمال القرآن لهذين الشكلين يُوميء إلى معنيين للاصطفاء:

1– الأوَّل: معنى التَّأهيل والإعداد ويكون بتخليص الإنسان من كلِّ شوب وكدر، وتهيئته لاستقبال كلمة السماء المقدّسة، فالاصطفاء هاهُنا بمعنى التّصفية والتّنقية.

2– الآخر: فهو مايشير إليه اقتران الاصطفاء بحرف الجرّ (على)، وهو معنى الاختيار والتَّفضيل على الغير، فالاصطفاء الأوَّل ذاتيٌ خاصٌ يوطِيء لمعنى التَّفضيل والاختيار ويبرّره ويمهد له. (47)

وإذا كان الاصطفاء شامل لهذين الجانبين في شخص النبي الَّذي اصطفاه الله تعالى بتصفيته وتنقيته ثمَّ اختياره وتفضيله عن سائر الخلق؛ فإن هذا الأمر يقتضي أنَّ الأنبياء- عليهم الصَّلاة والسَّلام- لا بدَّ وأن يكونوا أقوى وأبلغ من غيرهم في القوى الجسمانية، والقوى الرّوحانية " فعقول الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين

أكمل العقول وآراءهم أشدّ الآراء، ولذلك يكملون لقبول الوحي أولا، وتبليغه ثانيًا".[48]

ويُعدد الحليمي لعدَّة أمثلة حول القوّة الحسيَّة والجسديَّة الفوق العادية للأنبياء عليهم السَّلام:

1– اتيان النَّبي سليمان– عليه السَّلام– منطق الطير وفهمه وإدراكه للغة الكائنات الأخرى كما في قصَّته– عليه السَّلام– في وادي النَّمل.[49]

2– قوَّة حاسة الشَّمِّ لدى نبي الله يعقوب لما وجد ريح ابنه يوسف في قميصه.[50]

" فإنَّ النذَفس القدسية النبوية مخالفة بماهيتها لسائر النُّفوس، ومن لوازم تلك النَّفس الكمال في الذكاء، والفطنة، والحرية، والاستعلاء، والتَّرفع عن الجسمانيات والشَّهوات، فإذا كانت الرُّوح في غاية الصَّفاء والشَّرف، وكان البدن في غاية النَّقاء والطَّهارة كانت هذه القوى المحرّكة والمدركة في غاية الكمال لأنَّها جارية مجرى أنوار فائضة من جوهر الرُّوح واصلة إلى البدن، ومتى كان الفاعل والقابل في غاية الكمال كانت الآثار في غاية القوّة والشَّرف والصَّفاء".[51]

وقد اختلف المفسّرون حول المقصود باصطفاء الآل فهل المقصود هنا ذرية الأنبياء المصطفون جميعهم باطلاق أم المقصود متبعوا رسالة هؤلاء الأنبياء؟

ويمكننا القول إنَّ آراء المفسّرين في هذا المقام تنقسم إلى رأيين:

الأوَّل: أنَّ المقصود بالآل هم ذرية الأنبياء من أصلابهم يقول الخازن في تفسيره: "وذلك أنَّ الله تعالى جعل إبراهيم أصلاً لشعبتين فجعل إسماعيل بن إبراهيم– عليهما السَّلام– أصلاً للعرب ومحمَّد– صلّى الله عليه وسلّم– منهم فهو داخل في هذا الاصطفاء، وجعل إسحاق أصلاً لبني إسرائيل، وجعل فيهم النبوة والملك إلى زمن نبينا محمَّد– صلّى الله عليه وسلّم– ثمَّ جمع له ولأمته النُّبوة والملك إلى يوم القيامة".[52]

الآخر: أنَّ المقصود بالآل هم متبعوا الأنبياء المؤمنون بدين الله، يقول الطَّبري في معرض تعليقه على الآية ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (آل عمران: 34) "إنَّما معناه: ذرية دينُ بعضها دينُ بعض، وكلمتهم واحدةٌ، وملتهم واحدة في توحيد الله وطاعته "[53]، وما يؤكد هذا المعنى ﴿وإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: 124)؛ فالاصطفاء هنا مشروط بالتزام طريق الحقِّ دين الإسلام، بعكس الرُّؤية التَّوراتية الَّتي أشرنا إليها الَّتي تجعل الاعتبار الوحيد للاختيار العرقي وهو الأمر الَّذي سنفصله فيما بعد، ولعل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران : 68) يُعضد هذا المعنى .

3– اصطفاء الملائكة:

أشار القرآن الكريم إلى أنَّ الاختيار الإلهي والتَّفضيل قد شمل الملائكة وهي الكائنات النورانية الَّتي اختصّها الله تعالى بصفات وملكات خاصة قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ (الحجّ: 75)

الله يصطفي من الملائكة رسلاً يقتضي أن تكون الرُّسل بعضهم لا كلّهم مختصّين بالرِّسالة كجبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وغيرهم،**[54]** إلا أنَّ ابن حزم الأندلسي يخالف هذا الرَّأي إلى اعتبار أنَّ الملائكة

جميعهم رسل الله لأهل الأرض؛ "فهم كلهم رسل الله اختصهم تَعَالَى بِأَن ابتدأهم فِي الْجنَّة وحوالي عَرْشه فِي الْمَكَان الَّذي وعد رسله وَمن اتبعهم بِأَن نِهَايَة كرامتهم مصيرهم إِلَيْهِ وَهُوَ مَوضِع خلق الْمَلَائِكَة ومحلهم بِلَا نِهَايَة مذ خلقُوا وَذكرهمْ- عزَّ وَجلَّ- فِي غير مَوضِع من كِتَابه فَأثْنى على جَمِيعهم ووصفهم بِأَنَّهُم لَا يفترون وَلَا يسأمون وَلَا يعصون الله فنفي عَنْهُم الزَّلل والفترة السَّاقَة والسّهو"[55]، ويشير إلى أنَّ التَّبعيض هنا ليس للاستثناء بعض من الكلِّ كما يشير إلى أنَّ إدخال المفسّرين للملائكة ضمن العالمين في سياق تفضيل آدم ونوح وآل إبراهيم وآل عمران أمر غير صحيح "قَالَ أَبُو مُحَمَّد وَهَذِه الْآيَة قد صَحَّ الْبُرْهَان بِأَنَّهَا لَيست على عمومها لِأَنَّهُ تَعَالَى لم يذكر فِيهَا مُحَمَّدًا- صلى الله عَلَيْهِ وَسلم- وَلَا خلاف فِي أَنَّه أفضل النَّاس".[56]

*وقد أثارت قضية اصطفاء الملائكة عليهم السلام نقاشًا بين العلماء حول المفاضلة بينهم وبين الأنبياء وبين كان رأي معظم المفسرين إلى أنَّ الأنبياء أعلى مرتبة من الملائكة استنادًا إلى تفضيل الأنبياء المصطفين على سائر العالمين[57]، إلا أنَّ على الجانب الآخر رفض بعضهم ذلك واعتبر الملائكة في مرتبة أعلى لعدّة أسباب لخّصها ابن حزم في الآتي:

1- أسبقية خلقهم وتشريفهم بخلقهم من نور.

2- قربهم من رب العزة تعالى باصطفافهم حول العرش.

3- تكرّسهم لعبادة الله عزَّ وجلَّ.

4- قرن تَعَالَى نزُول الْمَلَائِكَة بِرُؤْيَتِهِ تَعَالَى وَقرن تَعَالَى إِتْيَانه بإتيان الْمَلَائِكَة فَقَالَ عز وَجل: ﴿هَل ينظرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيهم الله فِي ظلل من الْغَمَام وَالْمَلَائِكَة﴾ (البقرة : 210).[58]

ولكن الحقيقة أنَّ إخبار القرآن الكريم بسجود الملائكة لآدم- عليه السَّلام- ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾ (البقرة : 34)، يُرجح تفضيل الأنبياء- عليهم السَّلام- من ذرية آدم على سائر الخلق ومن بينهم الملائكة.[59]

مراتب الملائكة:

واصطفاء الملائكة يأتي على مرتبتين اصطفائهم من بين خلق الله- عزَّ وجلَّ- وكذلك اصطفاء بعضهم على بعض وذلك باختصاصهم بوظائف معينة على النَّحو التَّالي:

1- جبريل عليه السَّلام: وهو أفضل الملائكة وأكرمهم عند الله تعالى، وهو الموكَّل بالوحي من الله تعالى إلى رسله- عليهم الصَّلاة والسَّلام- ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: 97).

2- ميكائيل وهو الموكَّل بالقطر والنَّبات، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: 98).

3- إسرافيل وهو الموكَّل بالصُّور وهو ثالث الملائكة المفضلين المتقدّم ذكرهم، وهو أحد حملة العرش.

4- ملك الموت وهو الموكل بقبض الأرواح قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (السَّجدة: 11).

5- ملك الجبال، وقد ورد ذكره في حديث خروج النبي ﷺ إلى أهل الطائف في بداية البعثة ودعوته إياهم وعدم استجابتهم له وفيه يقول النَّبي- صلَّى الله عليه وسلَّم-: "فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إنَّ الله قد سمع قول قومك لك وما ردّوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك سلم عليّ ثمَّ قال: يا محمَّد. فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين. فقال النَّبي- صلَّى الله عليه وسلَّم- بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا". (60)

6- الملك الموكَّل بالرحم على ما دلَّ عليه حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النَّبي- صلَّى الله عليه وسلَّم- قال: "إنَّ الله- عزَّ وجلَّ- وكَّل ملكًا يقول: يا ربِّ! نطفة. يا ربِّ! علقة. يا ربِّ مضغة. فإذا أراد أن يقضي خلقه، قال: أذكر أم أنثى؟ شقي أم سعيد؟ فما الرّزق والأجل؟ فيكتب في بطن أمه". (61)

7- حملة العرش، قال تعالى : ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ (غافر: 7).

8- خزنة الجنَّة، والنار قال تعالى: ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ (الرعد: 23).

وقال تعالى : ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (المدثر: 30 – 31).

4 – اصطفاء الملوك:

هناك نوع من الاصطفاء الإلهي للملك أو القائد وهو ماظهر جليًّا في قصة اختيار طالوت- أو شاؤل بحسب التَّسمية التَّوراتية- ليكون سيّدًا على قبائل بني إسرائيل وليوحد كلمتهم أمام الأعداء﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾(البقرة : 247).

وهو يتَّسم أيضًا بأنه مشروط بالصلاح والتقوى وليس اعتباطيًّا وأزليًّا كالاختيار التَّوراتي؛ وتنتقد الآية الفهم اليهودي لاعتبارات الاختيار حيث كانت رؤيتهم مادية بحتة فكان الاختيار لديهم يقوم على العِرق أو النَّسب و المال. ولكن الله تعالى أخبرهم أن هذه معايير خاطئة وأن الله قد منحه القوة الجسمية والقوة العقلية والعلمية الَّتي ميزته عنهم. (62)

يقول صاحب اللباب: "قالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنا أي من أين يكون له الملك وكيف يستحقه وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ إنَّما قالوا ذلك لأنه كان في بني إسرائيل سبطان سبط نبوة وسبط مملكة فسبط النُّبوة سبط لاوي بن يعقوب ومنه كان موسى وهارون- عليهما السَّلام- وسبط المملكة سبط يهوذا بن يعقوب ومنه كان داود وسليمان- عليهما السَّلام- ولم يكن طالوت من أحدهما. وإنَّما كان من سبط بنيامين بن يعقوب فلهذا السَّبب أنكروا كونه ملكًا لهم وزعموا أنَّهم أحقُّ بالملك منه". (63)

5- اصطفاء السَّيّدة مريم- عليها السَّلام-:

اختصَّ القرآن الكريم السَّيّدة مريم- عليها السَّلام- بالاصطفاء على سائر نساء العالم ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: 42)، وقد أشار العلماء إلى أنَّ ورود الاصطفاء مرتين في الحديث عن السَّيّدة مريم- عليها السَّلام- لوجوه " فقيل في معنى الاصطفاء الأوَّل إنَّ الله تعالى اختار مريم وقبلها منذورة محرَّرة ولم تحرر قبلها أنثى ولم يجعل ذلك لغيرها من النساء وأنَّ الله بعث إليها رزقها من عنده وكفلها زكريا ومعنى الإصطفاء الثَّاني أنَّ الله تعالى وهب لها عيسى من غير أبٍ وأسمعها كلام الملائكة ولم يحصل ذلك لغيرها من النِّساء".[64] وورود اصطفاء مريم- عليها السَّلام- مرتين يعني أنَّ الاصطفاء الأوَّل هو بتخليصها من كل شوب وكدر، وتهيئتها لاستقبال كلمة السماء المقدسة، فالاصطفاء هاهُنا بمعنى التَّصفية والتَّنقية، واقتران الاصطفاء في المرّة الثَّانية بحرف الجرّ (على) يدلُّ على الاختيار والتَّفضيل على سائر نساء العالم.[65]

6- اصطفاء الأمم:

جعل الله معيار التَّفاضل بين الأمم بحسب إلتزامهم برسالات أنبيائهم ورسلهم، فكانت النُّبوة هي جوهر التَّقدم التَّاريخي، وإذا كان اصطفاء الأنبياء- عليهم السَّلام- هو مبتدأ هذا التَّقدّم فإنَّ سير الأمم في ركاب نبيها كان هو المعيار لاصطفاء الأمم وتفضيلها على بعض قال تعالى :﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ (فاطر: 32).

وقد كانت أمة موسى- عليه السَّلام- محط الاختيار الإلهي والتفضيل على سائر الأمم في لحظة من لحظات الزمن حينما تمسكوا بعهدهم مع الله ونبيه موسى- عليه السَّلام- قال تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة : 47) وقد ذكر المفَسرون أن تفضيل بني إسرائيل كان على عالمي زمانهم حين كانوا ملتزمين بالميثاق الإلهي[66]، أمَّا بعد نقضهم الميثاق ووقوعهم في الكفر والعصيان فإن هذا استوجب غضب الله عليهم وخروجهم من دائرة التفضيل إلى دائرة الخزي واللعن قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ (المائدة: 13).

وانتقل الاصطفاء الإلهي للأمم إلى أمة الإسلام أمَّة محمَّد- صلَّى الله عليه وسلَّم- قال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (الحجّ: 78).

"قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾؛ أَيِ اخْتَارَكُمْ لِلذَّبِّ عَنْ دِينِهِ وَالْتِزَامِ أَمْرِهِ، وَهَذَا تَأْكِيدٌ لِلْأَمْرِ بِالْمُجَاهَدَةِ، أَيْ وَجَبَ عَلَيْكُمْ أَنْ تُجَاهِدُوا لِأَنَّ اللَّهَ اخْتَارَكُمْ لَهُ".[67]

ولهذا كان أولى النَّاس بالاصطفاء لكونهم حملة لواء ملة الحنيفية دين إبراهيم- عليه السَّلام- هم أمة نبي الإسلام ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا

النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران:68).

فأمَّة الإسلام هي وارثة كتاب الله تعالى[68] وهم أمَّة المصطفى- عليه السَّلام- يقول الزَّمخشري: "الَّذينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا هم أمّة محمَّد بن عبد الله من الصَّحابة والتَّابعين وتابعيهم ومن بعدهم إلى يوم القيامة، لأنَّ الله اصطفاهم على سائر الأمم، وجعلهم أمَّة وسطًا ليكونوا شهداء على النَّاس، واختصَّهم بكرامة الانتماء إلى أفضل رسل الله، وحمل الكتاب الَّذي هو أفضل كتب الله؛ وهو يريد بالمصطفين من عباده: أهل الملّة الحنيفية".[69]

وقد قسم الله تعالى الأمَّة إلى ثلاث أقسام "فقال تعالى مِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سابِقٌ بِالْخَيْراتِ. وقيل الظَّالم أصحاب الكبائر والمقتصد أصحاب الصَّغائر والسَّابق الَّذي لم يرتكب صغيرة ولا كبيرة وقيل الظَّالم الجاهل، والمقتصد المتعلّم والسَّابق العالم"[70]، وقال الرَّازي إنّ الثَّلاثة أقسام من الأمَّة هي: "الظَّالم هو الَّذي ظاهره خير من باطنه، والمقتصد من تساوى ظاهره وباطنه، والسَّابق من باطنه خير".[71]

المبحث الثَّالث: خصائص الاصطفاء في القرآن الكريم

بعد أن تعرَّفنا على أنماط الاصطفاء في القرآن الكريم يمكن أن نستخلص خصائص المفهوم في القرآن الكريم:

1- الاصطفاء في القرآن الكريم مشروط بالصَّلاح والتَّقوى وإلتزام الميثاق الإلهي:

فإذا انتفت هذه الخصائص أصبح الشَّخص أو الأمَّة محلّ الاصطفاء خارجًا عن هذه الدَّائرة؛ حيث تشير الآيات (71- 75) في سورة الإسراء إلى أنَّ الركون ولو بقدر بسيط إلى التَّهاون في تبليغ الرسالة يستلزم العقاب حتَّى ولو كان المصطفى- عليه الصَّلاة والسَّلام- ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا . وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا . وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا . وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا . إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾.

كما أنَّ اليهود قد تخلوا عن الميثاق الإلهي فاستوجبوا الخروج من دائرة التَّفضيل والاصطفاء لتحلَّ محلَّها الأمَّة الوسط أمَّة الإسلام، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (آل عمران: 110) وهي الأمَّة الشَّاهدة على سائر الأمم ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: 143).

2- الاصطفاء في القرآن الكريم ليس أزليًا حتميًا:

يترتَّب على الخاصية الأولى هذه الخاصية فإذا كان الاصطفاء مبتدأ النشأة الحضاريَّة ومحورها، والرُّسل هم قادة الحضارات وحاملو ألويتها، فممَّا لا شكَّ فيه أنَّ الرُّسل الَّذين هم دعائم الوجود الحضاري كانوا محط

تكريم وتشريف واختيار، لا على أساس امتيازات موروثة أو ضمانات أزليَّة، بل على أساس ملكات وصفات ذاتيَّة أودعها الله فيهم، فكانوا بها أقدر النَّاس على حمل الأمانة وأوفاهم بعهد خلافة الله على الأرض، وأبعدهم عن الظُّلم والخيانة ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام: 88).

"فإنَّ بين التشريف والتكليف في منطق القرآن تلازمًا وتناسبًا طرديًّا؛ أي أن تنامي الوفاء بعهد التكليف يقضي بمزيد من معاني التَّشريف وتبلغ هذه العلاقة الطردية صورتها الجليَّة (الرِّسالة والرَّسول)؛ فالرَّسول الَّذي هو أوفى النَّاس بعهد التَّكليف هو وحده المؤهل لتسلم سدّة رتب التشريف، وتلك هي العلّة الظاهرة لاصطفائه واجتبائه، وهذا ما يؤكّد المصطَفِي جلَّ شأنه إذ ينيط قدر الاصطفاء بانتفاء وصف الظُّلم"[(72)] وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: 124). فلا حتمية للاصطفاء ولا وراثة للعهد الإلهي إلا بحسب إلتزام الأوامر الإلهيَّة.

- **الخاتمة:**

كان المنحى العرقي الحتمي أو الأزلي هو المنحى السائد لتناول فكرة الاختيار في التَّوراة، فكان اختيار بني إسرائيل على سائر الأمم وتفضيل الرَّبِّ لهم مهما تعاظمت ذنوبهم وآثَّمهم هي الفكرة الأم الَّتي تمخضت عنها سائر الأفكار العقدية الأخرى في التَّوراة. فنجدهم لا يشيرون إلا رُسل وأنبياء الأمم الأخرى ويقصرون مفهوم العناية الإلهية عليهم وحسب، يقول أستاذ اللاهوت الألماني بايينبرج " بمجرد أن تلقي نظرة إلى العهد القديم ستجد أن الفكرة المسيطرة على كل صفحة من صفحاته ، فكرة أن يهوا يسيطر على كل شيء في العالم ، خاصَّة تاريخ شعبه المختار .فقد ظهر للإنسان الأول وللآباء لينظم كل شئونهم.فهو يتدخل في التاريخ لينقذ شعبه من استعباد المصريين لهم، ليقودهم في الصحراء ، وليأتي بهم إلى أرض كنعان ، وليحميهم من عدوهم، وليقوم انحرافاتهم، وليعاقبهم على عدم إخلاصهم"؛ وعلى هذا فإنَّ اصطفاء بني إسرائيل– بحسب الرؤية التّ!وراتية– قضاء أزلي وميثاق حتمي أبرمه الله مع إبراهيم– عليه السَّلام– لا ينقضه تمرد ولا تفثؤه خيانة ولا يعروه تصرم أو فساد".

بينما يتأسس مفهوم الاصطفاء –بحسب الرؤية القرآنية – على سنة التفاضل من حيث هي قاعدة عامة يقوم عليها وجود البشر، دونما إشادة بعرق أو نسب، بل إن سنة التفاضل عاملة حتَّى بين الرسل المصطفين، وهو قائم على اعتبار الأمور المعنوية والروحية والقيمية مِسبارًا للتفاضل ومناطًا للتكريم. ولقد جاء تسلسل الأنبياء التاريخي في القرآن الكريم في سورة الأعراف الآيات من (65- 90) بعد نوح– عليه السَّلام– ليشمل الأنبياء هود وصالح ثمَّ لوط وإبراهيم ليكون بمثابة تصحيح للرؤية العنصرية لاختيار الأنبياء بناء على التسلسل العرقي من نسل نوح ثمَّ سام ثمَّ إبراهيم فإسحاق فإسرائيل (يعقوب)؛ حيث تعمَّد مؤلّفوا التَّوراة التكريس للمنحى العنصري ليقتصر الاختيار الإلهي لبنو سام، ثمَّ ليربطوا وجودهم بإبراهيم الجدّ الأكبر لهم واستبعاد إسماعيل عليه السلام من دائرة النبوة والاصطفاء الإلهي.

حيث تذكر الآيات اصطفاء الله لأنبيائه بوجه عام من بني آدم جميعًا، ثمَّ ممَّن حملهم نوح معه بالفلك ولم تخصصهم الآية بأنَّهم من ذرية نوح بل ممَّن آمن مع نوح، ثمَّ الأنبياء من ذرية إبراهيم وإسرائيل- عليهم السَّلام- ثمَّ تعود الآية لتؤكِّد على طلاقة الاختيار الإلهي بناءً على الهداية والعبودية لله دون خصوصية عرقية جنسية وهو ما يعد تصحيحًا للتحريف التَّوراتي لمفهوم الاختيار. بهذا التَّصور الإيماني الَّذي تظاهره خبرة التَّاريخ، يجعل القرآن من هذا الاصطفاء مفهومًا سننيًّا مشروطًا لا مجرَّد امتياز أجوف أو قضاء محتوم لا يُسلب.

- **قائمة المصادر والمراجع**:

1. ابن الفارس، معجم مقاييس اللُّغة، تحقيق: عبد السَّلام هارون، دار الفكر، دمشق، 1979م.

2. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبَّعة الثَّالثة، 1414هـ .

3. أبو البقاء الكفوي، الكليَّات: معجم في المصطلحات والفروق اللُّغويَّة، تحقيق: عدنان درويش- محمَّد المصري، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت، 1998م.

4. أبو عبد الله الحَلِيمي، المنهاج في شعب الإيمان، تحقيق: حلمي محمَّد فودة، دار الفكر، 1399هـ/ 1979م.

5. أحمد هويدي، محمَّد خليفة حسن، اتِّجاهات نقد العهد القديم، دار الثَّقافة العربيَّة، 2001م.

6. اسبينوزا، رسالة في اللَّاهوت والسّياسة، ترجمة وتقديم: حسن حنفي، مكتبة النافذة، 2005م.

7. حسن المصطفوي، التَّحقيق في كلمات القرآن، مركز نشر آثار العلامة المصطفوي، طهران، 1385هـ.

8. حسن ظاظا، الفكر الدِّيني اليهودي أطواره ومذاهبه، دار القلم، دمشق، 1420هـ/1999م.

9. الرَّاغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الدَّاودي، دار القلم، دمشق، 1412هـ .

10. روجيه جارودي ، فلسطين أرض الرِّسالات السَّماويَّة، ترجمة: قصي أتاسي، وسيشيل واكيم، دار طلاس للنشر، دمشق،1991م.

11. الطَّبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمَّد شاكر، مؤسَّسة الرِّسالة، 1420هـ/2000م.

12. عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهوديَّة والصهيونيَّة، المجلَّد الخامس.

13. عصام الدين حفني، محنة التَّوراة على أيدي اليهود، دار رؤية للنشر والتَّوزيع، القاهرة، د.ت.

14. علاء الدِّين علي بن محمَّد بن إبراهيم بن عمر، المعروف بالخازن، لباب التَّأويل في معاني التَّنزيل، تصحيح: محمَّد علي شاهين، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 1415هـ.

15. فخر الدِّين الرَّازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التُّراث العربي، بيروت، الطَّبعة الثَّالثة، 1420هـ.

16. فريدمان، من كتب التَّوراة ؟ ترجمة: عمرو زكريا، مراجعة وتقديم: أيمن حامد، دار البيان، القاهرة 2003م.

17. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصريَّة، القاهرة، الطَّبعة الثَّانية، 1384هـ/ 1964م.

18. محمَّد حسين الذَّهبي، الإسرائيليات في التَّفسير والحديث، مكتبة وهبة، القاهرة، 1990م.

19. محمَّد خليفة حسن، علاقة الإسلام بالأديان الأخرى، مركز الدِّراسات الشَّرقيَّة، القاهرة، 2003م.

20. منى ناظم الدبوسي، المسيح اليهودي ومفهوم السّيادة الإسرائيليَّة، مطابع دار الهلال، القاهرة، مصر، 1986م.

- **رسائل الماجستير والدُّكتوراة:**

1. علي محمود عكام، السُّنن الإلهيَّة وأثرها في حركة التاريخ من منظور إسلامي، رسالة دكتوراة بإشراف: أ.د/ محمَّد السَّيّد الجليند، كليَّة دار العلوم، جامعة القاهرة، 2010م.

2. ياسر السَّيّد قاسم، قضية الشَّعب المختار في اليهوديَّة، رسالة ماجستير بإشراف: أ.د/ عبد الفتاح الفاوي، 1424هـ/ 2003م.

- **المراجع الأجنبيَّة:**

1. Ch. Piepenbring , Theology of Old Testament ,trans: H,G Mitchell, THOMAS Y. CROWELL Pub.,New York.

2. Chosen People , Encyclopedia Britannica , written by :The Editors of The Encyclopedia , www.EncyclopediaBritannica.com

3. ENCYCLOPEDIA JUDAICA, JERSUSALEM,1992 .

4. J.M.Powis Smith , The Chosen People , The American Journal of Semitic Language & Literature , Vol.XLV , January ,1929

5. Jewish Encyclopedia Joseph Jacobs,editor: Isidore Singer, funk and Wagnall's, company, New York, 1906 ,

Kohler, Jewish Theology, , Macmillan Company ,New York,1918,

الهوامش:

---

[1] محمَّد خليفة حسن، علاقة الإسلام بالأديان الأخرى، مركز الدِّراسات الشَّرقيَّة، القاهرة، 2003م، 34– 35 .

[2] يُنْظَرُ: محمَّد بن جرير الطَّبري، جامع البيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد محمَّد شاكر، مؤسَّسة الرِّسالة، 1420هـ/2000م. 6/ 172 – 173. ويُنْظَرُ أيضًا: محمَّد حسين الذَّهبي، الإسرائيليات في التَّفسير والحديث، مكتبة وهبة، القاهرة، 1990م، 10.

[3] يُنْظَرُ: أحمد هويدي– محمَّد خليفة حسن، اتِّجاهات نقد العهد القديم، 15.

[4] المصدر السابق، 126، 127، 132.

[5] يُنْظَرُ: محمَّد خليفة حسن، علاقة الإسلام بالأديان الأخرى، مركز الدِّراسات الشَّرقيَّة، جامعة القاهرة، 2003م، 35– 41.

[6] ENCYCLOPEDIA JUDAICA, JERSUSALEM,1992, vol.5, 498

[7] J.M.Powis Smith , The Chosen People , The American Journal of Semitic Language & Literature , Vol.XLV , January ,1929 p 74 - 75

[8] J.M.Powis Smith , The Chosen People , Vol.XLV , January ,1929 . p 73 .

[9] ينظر: ENCYCLOPEDIA JUDAICA, JERSUSALEM,1992, vol.5 , 498 .

[10] ينظر : Jewish Encyclopedia Joseph Jacobs,editor: Isidore Singer, funk and Wagnall's, company, New York, 1906 ,v.4, p 45 .

[11] يُنْظَرُ : Chosen People , Encyclopedia Britannica , written by :The Editors of The Encyclopedia , www.EncyclopediaBritannica.com

[12] يُنْظَرُ : Kohler, Jewish Theology, , Macmillan Company ,New York,1918, p 329.

[13] عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، 5: 51 .

[14] عصام الدِّين حفني، محنة التوراة على أيدي اليهود، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة ، د.ت، 18.

[15] المرجع السَّابق، 19– 20

[16] وتشير الدراسات النقدية لنص العهد القديم لمجموعة من الباحثين مثل جرسيمان Gresmann وايسلر Eisler وولف Wolff وسيلين ودريفر Driver ودالمان Dalman أنَّ الإصحاح التاسع والأربعين من سفر التَّكوين الذي يحمل بركات يعقوب لأسباط بني إسرائيل قد تمَّ تأليفه في بداية عصر الملكية أي في زمن متأخر عمَّا تشير إليه تلك البركات وأنَّها تتحدث عن سبط يهوذا الَّذي ينتمي إليه داوود وسليمان وأسرتهما الملكية الَّتي كان لها السُّلطة وحقّ التَّشريع في ذلك الوقت .يُنْظَرُ: منى ناظم الدبوسي، المسيح اليهودي، 72.

[17] حسن ظاظا، الفكر الدِّيني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه ، 6.

[18] ينظر: حفني، محنة التَّوراة على يد اليهود، 30– 31.

[19] يُنْظَرُ: ياسر السيد قاسم، قضية الشَّعب المختار في اليهودية، رسالة ماجستير، كليَّة دار العلوم، جامعة القاهرة، 1424 هـ/ 2003 م، 76.

[20] يُنْظَرُ: محمَّد خليفة حسن، مدخل نقدي لأسفار العهد القديم، 22 – 23.

[21] يُنْظَرُ: المرجع نفسه، 26.

[22] روجيه جارودي، فلسطين أرض الرِّسالات السَّماويَّة، ترجمة: قصي أتاسي– سيشيل واكيم، دار طلاس للنشر، دمشق،1991 م، 82 .

[23] ENCYCLOPEDIA JUDAICA, JERSUSALEM,1992, vol.5 , 498 .

[24] يُنْظَرُ: فريدمان، من كتب التَّوراة ؟ 92 .

[25] محمَّد خليفة حسن، مدخل نقدي لأسفار العهد القديم، 29.

[26] ENCYCLOPEDIA JUDAICA, JERSUSALEM,1992, vol.5 , 498

[27] OP.CIT , P 499 . ويُنْظَرُ: (إشعيا 56 :1 - 5) :

هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: «احْفَظُوا الْحَقَّ وَأَجْرُوا الْعَدْلَ. لأَنَّهُ قَرِيبٌ مَجِيءُ خَلاَصِي وَاسْتِعْلاَنُ بِرِّي. طُوبَى لِلإِنْسَانِ الَّذِي يَعْمَلُ هذَا، وَلابْنِ الإِنْسَانِ الَّذِي يَتَمَسَّكُ بِهِ، الْحَافِظِ السَّبْتَ لِئَلاَّ يُنَجِّسَهُ، وَالْحَافِظِ يَدَهُ مِنْ كُلِّ عَمَلِ شَرّ" فَلاَ يَتَكَلَّمِ ابْنُ الْغَرِيبِ الَّذِي اقْتَرَنَ بِالرَّبِّ قَائِلاً: «إِفْرَازًا أَفْرَزَنِي الرَّبُّ مِنْ شَعْبِهِ». وَلاَ يَقُلِ الْخَصِيُّ: "هَا أَنَا شَجَرَةٌ يَابِسَةٌ". لأَنَّهُ هكَذَا قَالَ الرَّبُّ لِلْخِصْيَانِ الَّذِينَ يَحْفَظُونَ سُبُوتِي، وَيَخْتَارُونَ مَا يَسُرُّنِي، وَيَتَمَسَّكُونَ بِعَهْدِي: "إِنِّي أُعْطِيهِمْ فِي بَيْتِي وَفِي أَسْوَارِي نُصُبًا وَاسْمًا أَفْضَلَ مِنَ الْبَنِينَ وَالْبَنَاتِ. أُعْطِيهِمُ اسْمًا أَبَدِيًّا لاَ يَنْقَطِعُ. وَأَبْنَاءُ الْغَرِيبِ الَّذِينَ يَقْتَرِنُونَ بِالرَّبِّ لِيَخْدِمُوهُ وَلِيُحِبُّوا اسْمَ الرَّبِّ لِيَكُونُوا لَهُ عَبِيدًا، كُلُّ الَّذِينَ يَحْفَظُونَ السَّبْتَ لِئَلاَّ يُنَجِّسُوهُ، وَيَتَمَسَّكُونَ بِعَهْدِي، آتِي بِهِمْ إِلَى جَبَلِ قُدْسِي، وَأُفَرِّحُهُمْ فِي بَيْتِ صَلاَتِي، وَتَكُونُ مُحْرَقَاتُهُمْ وَذَبَائِحُهُمْ مَقْبُولَةً عَلَى مَذْبَحِي، لأَنَّ بَيْتِي بَيْتَ الصَّلاَةِ يُدْعَى لِكُلِّ الشُّعُوبِ".

[28] OP.CIT , P 499 .

[29] اسبينوزا ، رسالة في اللَّاهوت والسِّياسة ، ترجمة وتقديم: حسن حنفي، مكتبة النافذة،2005م، 340– 341.

[30] المرجع السّابق، 170.

[31] يُنظر: اسبينوزا ، رسالة في اللَّاهوت والسّياسة ، 179– 181.

[32] يُنظر: أبو البقاء الكفوي، الكليَّات: معجم في المصطلحات والفروق اللُّغويَّة، تحقيق: عدنان درويش– محمَّد المصري، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت، 1998م، 62.

[33] يُنظر: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطَّبعة الثَّالثة، 1414هـ، 4: 266 – 267 .

[34] المصدر السابق، ص 268 .

[35] ينظر: حسن المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن، مركز نشر آثار العلامة المصطفوي، طهران، 1385هـ، 3 : 174– 177 .

[36] يُنْظَرُ: ابن منظور ، لسان العرب، 7: 370 . ويُنْظَرُ: ابن الفارس، معجم مقاييس اللُّغة، تحقيق: عبد السَّلام هارون، دار الفكر، دمشق، 1979م، 3 : 292 .

[37] المصطفوي، التَّحقيق ، 6: 311 – 312 .

[38] يُنْظَرُ: حسن المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن، 6: 311 – 315 .

[39] ينظر: ابن فارس، مقاييس اللُّغة ، 1: 503 .

40 يُنْظَرُ : الكفوي، الكليات، 130 . ويُنْظَرُ أيضًا: الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الدَّاودي، دار القلم، دمشق، 1412هـ، 186.

41 يُنظر: الراغب ، المفردات، 639 ، أيضًا: الكفوي، الكليَّات، 683 - 684 .

42 يُنْظَرُ: حسن المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن ، 9 / 116 – 117 .

43 يُنظر: علي محمود عكام، السنن الإلهية وأثرها في حركة التاريخ من منظور إسلامي، رسالة دكتوراة ،كليَّة دار العلوم، جامعة القاهرة، 2010 م، 120 .

44 الرَّازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التُّراث العربي، بيروت، الطَّبعة الثَّالثة، 1420 هـ، 4: 64.

45 الطَّاهر بن عاشور، التَّحرير والَّتنوير، الدَّار التُّونسية للنشر، تونس، 1984 م .3: 188 .

46 المصدر السَّابق، 188– 189

47 علي عكام، السُّنن الإلهية، 111 .

48 يُنْظَرُ: أبو عبد الله الحَلِيميت، المنهاج في شعب الإيمان، تحقيق: حلمي محمَّد فودة، دار الفكر، 1399هـ/1979م، 1 :239 .

49 سورة النمل: 18– 19 .

50 سورة يوسف: 93– 94 .

51 أبو عبد الله الحَلِيميت، المنهاج في شعب الإيمان، 1: 239 – 245 .

52 علاء الدِّين علي بن محمَّد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن، لباب التَّأويل في معاني التَّنزيل، تصحيح: محمَّد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ، 1: 239 .

53 يُنظر: الطَّبري، جامع البيان، 3: 326 – 328 .

54 يُنظر: الطبري، جامع البيان ، 18 : 687 .

55 يُنظر: ابن حزم الأندلسي، الفصل في الملل والأهواء والنِّحل، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ت، 5: 13 .

56 المصدر السابق ، 5: 14 .

57 الرَّازي، مفاتيح الغيب، 2: 444 .

58 ينظر: ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنِّحل، 5: 14 – 18.

59 الرَّازي، مفاتيح الغيب، 2 : 444 .

60 صحيح البخاري، رقم 3231 .

61 المصدر السَّابق، رقم 318 .

62 يُنظر: الزمخشري، الكشَّاف، 1 : 292 ، الرَّازي، مفاتيح الغيب، 6 : 503 .

63 الخازن، لباب التأويل، 1 : 180.

64 يُنْظَرُ: الخازن، لباب التَّأويل، 1: 244 .

65 وقد انفرد ابن حزم الأندلسي بنسبة النُّبوة لمريم ابنة عمران– عليها السَّلام– "ووجدناه تَعَالَى قد أرسل جِبْرِيل إِلَى مَرْيَم أم عِيسَى– عَلَيْهِمَا السَّلَام– يخاطبها وَقَالَ لَهَا ﴿إِنَّمَا أَنا رَسُول رَبك لأهب لَك غُلَاما زكيا﴾ فَهَذِهِ نبوة صَحِيحَة بِوَحْي صَحِيح ورسالة من الله تَعَالَى إِلَيْهَا". الفصل 5: 13 .

66 الطبري، جامع البيان ، 1 : 23 ، الرازي، مفاتيح الغيب، 3: 484 .

67 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصريَّة، القاهرة، الطبعة الثَّانية، 1384هـ/ 1964 م، 12 : 99 .

68 الطبري، جامع البيان، 20: 465 – 471 . الخازن، لباب التَّأويل، 3: 455 – 457 .

69 الزَّمخشري، الكشَّاف، 3: 612 – 613 .

70 الخازن، لباب التَّأويل، 3: 455 – 457 .

71 الرازي، مفاتيح الغيب، 26: 238 .

72 علي عكام، السنن الإلهيَّة، 113 .